الغزو الباطني للأمة الإسلامية

تأليف

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

الفهرس

العنوان	الصفحة
المقدمة	٩
المبحث الأول: حقيقة الغزو الباطني	١٩
أولًا: حقيقة الغزو	٢١
ثانيًا: حقيقة الباطنية	٢٥
ثالثًا: الأمة	٤٠
المبحث الثاني: نشأة الغزو الباطني وجذوره	٤٩
المطلب الأول: النشأة الزمنية	٥١
المطلب الثاني: النشأة المكانية	٥٦
المطلب الثالث: جذوره العقدية	٥٨
المبحث الثالث: فرق الغزو الباطني	٦٣
المطلب الأول: كثرة فرقهم	٦٥
المطلب الثاني: فرق الشيعة المعاصرة	٦٩

المطلب الثالث: فرق الاثني عشرية ٧١

المبحث الرابع: العدوان الباطني على عقائد الأمة ٨١

أولاً: العدوان الباطني علىٰ مصادر التلقي ٨٣

ثانيًا: العدوان الباطني علىٰ أصول الإيمان ١١٥

ثالثًا: العدوان الباطني بابتداع أصول منكرة ١٤٢

المبحث الخامس: العدوان الباطني على خيار الأمة ١٧١

المبحث السادس: ولاية الفقيه وأثرها في عودة الغزو الباطني .. ٢٠٩

المبحث السابع: وسائل الغزو الباطني ٢٢٣

المبحث الثامن: آثار الغزو الباطني على العالم الإسلامي ٢٧١

أولاً: المجال العقدي والفكري ٢٧٤

ثانيًا: المجال السياسي ٢٨١

ثالثًا: المجال الاجتماعي ٢٩١

المبحث التاسع: منهج التصدي للغزو الباطني ٢٩٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ابتلي العالم الإسلامي بالاستعمار العسكري، وصاحبه واستمر بعد رحيله غزو فكري منظم بمختلف الوسائل، وهو غزو لا تراه الأعين ولا تلمسه الأيدي، وهو أشد خطرًا وأدوم أثرًا من المواجهة العسكرية، وكان من أسباب نفاذه وتأثيره وبقائه واستمراره ما يعانيه أكثر المسلمين من جهل وضعف وتخلف، وما وضعه المستعمر إبان استعماره (أو تخريبه) من أنظمة ومناهج ومدارس، وما رباه وصنعه علىٰ عينه من تلامذة وعملاء وضعهم في قمة المسؤولية بعد رحيله، كل ذلك وغيره مكن للأفكار الوافدة والمذاهب الهدامة من التغلغل في كيان الأمة، حتىٰ أطلق بعض مفكري الأمة وأهل النصح فيها صيحة النذير بأن الأمة مهددة من داخلها[1].

وقد عني طائفة من الباحثين والمفكرين المسلمين بدراسة هذه التيارات وتعريف الناس بها وبخطرها وآثارها، وسبيل الخلاص منها، إما علىٰ سبيل التخصيص، وذلك بدراسة مذهب واحد بعينه من هذه المذاهب، وإما علىٰ سبيل التعميم بدراسة مجموعة من المذاهب والتيارات علىٰ غرار كتب الفرق والملل والنحل، وقد تعرت هذه المذاهب وتبين زيفها، وانكشف حال عملاء المستعمر، وأفلست شعاراتهم، وتوالت هزائمهم، وتخلفت الأمة بقيادتهم، ولفظتهم شعوبهم، بعد «عودة الوعي»، وكادت أن تجتاح وجودَهم الجماهيرُ الهادرة.

---

(١) وقد صنف الدكتور محمد محمد حسين كتابًا بهذا العنوان «حصوننا مهددة من داخلها».

ثم حدث تطور خطير وتحدٍّ كبير ألا وهو استعانة المستعمر لحرب الأمة من الداخل بالفرق الباطنية، والتي جربها من قبل فوجدها خير سند ومعين له ضد الأمة، فهي التي أوقفت المد الإسلامي في أوربا، وكانت عونًا وعينًا للعدو الصليبي والصهيوني في الماضي والحاضر قديمًا وحديثًا، ولا تزال الأمة تعاني من مكره ومكائده ومخططاته وتآمره، وكان دأب المستعمر - ولا يزال - لمواجهة البعث الإسلامي المتنامي الذي غزا أوروبا في عقر دارها، هو تغذية هذه الفرق والطوائف الباطنية لينشغل المسلمون بمواجهتها، ويظل الصراع بين الأمة من داخلها.

والمتأمل لطبيعة هذه المذاهب الباطنية التي ظهرت في العالم الإسلامي عبر تاريخه وفي عصوره المتأخرة وأيامه المعاصرة، يجد أن هذه المذاهب والفرق كلها تلبس عباءة التشيع، وربما تقنعت بشعارات أخرىٰ ليبرالية أو قومية أو بعثية أو حقوقية أو اجتماعية؛ لتخفي حقيقتها ومواقفها العدائية للأمة.

إن التيارات الباطنية بمنظماتها السرية وأساليبها الخفية وخلاياها المنتشرة التي تبث سمومها في الأمة من داخلها - وبخاصة التيار الاثنا عشري الذي استوعبها جميعًا - هي أوسع انتشارًا وأخطر تأثيرًا من التيارات الفكرية الصهيونية والصليبية؛ وذلك لخفائها وانتسابها للأمة ودينها، وتسترها خلف رايات وواجهات مختلفة، وانخداع كثير من الناس بها، مع أن نشاطها السري أخطر وأوسع من نشاطها العلني.

فقد لفت أنظار الكثير من المتابعين بروز هذه الفرق المنحرفة علنًا في بلاد المسلمين عامة، ونشرهم لفكرهم العفن في مناطق مختلفة وفق خطط مدروسة، فأصبح من الضروري تبصير الأمة بحقيقة هذا الغزو الباطني وفرقه وعقائده ووسائله وأهدافه، ومحاولة وضع إستراتيجية وبرامج عملية لحماية وحدة الأمة وأمنها، فلا ريب أن معرفة العدو ومخططاته ومعتقداته هو اللبنة الأساسية في مواجهة خطره، والسلامة من غوائله، ورد مكايده، وإيقاف تمدده ومنعه من نشر فتنته.

وقد شهدت أحداث التاريخ وأيام الإسلام أن الأمة لن تنتصر علىٰ العدو الخارجي إلا بعد أن تنتصر علىٰ العدو الباطني، ولقد علَّمنا التاريخ أن الأمة لم تستطع تحرير القدس من أيدي الصليبيين علىٰ يد صلاح الدين إلا بعد أن هزمت الباطنيين.

وإن المتأمل للتحديات المعاصرة التي تعصف بالأمة، يجد أن معظم هذه التحديات تأتي من قبل التيار الباطني المتستر بقناع التشيع الخادع، ولا يخفىٰ علىٰ المتابع للأحداث منذ قيام ثورة الملالي في إيران بأن الأمة لم تبلَ بعد الدولة الصفوية بمثل ما بليت به من فتن الدولة الخمينية الرافضية وخلاياها وعملائها، وهذه حقيقة ثابتة عند المتابعين لأحداث الواقع ووقائع التاريخ، وإذا رأيت فتنة تقوم، وفُرقة تحدث، وفسادًا يظهر، فتحسس الأصابع الباطنية الخفية. ولقد سبر شيخ الإسلام ابن تيمية أحوال الأمة والفتن التي تحيط بها، ونظر في أسبابها ومن يقف وراءها، وانتهىٰ إلىٰ أن معظم الفتن والشرور وراءها هؤلاء الباطنية، ولذلك قال بحق: «فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمة»[1].

ولقد كان من ثمار مكرهم أنهم كانوا شرذمة قليلة حتىٰ قالوا: «ما أقلنا! لو اجتمعنا علىٰ شاة ما أفنيناها»[2]، أما اليوم فقد بلغ أتباعهم - فيما قيل - ما يقارب

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٧٢).

(٢) «أصول الكافي»، كتاب الإيمان والكفر، باب قلة عدد المؤمنين (٢/ ٢٤٤)، وانظر: «رجال الكشّي» (ص٧)، «بحار الأنوار» (٢٢/ ٣٤٥).

١٠٪ من عموم المسلمين[١]، كما بلغ من مكرهم وكيدهم أن أقاموا دولاً، كالدولة البويهية والعبيدية والصفوية والخمينية، وأسقطوا دولاً قديمًا وحديثًا، وفي عصرنا أسقطوا دولتين بمعونة المستعمر (دولة الشاه ودولة صدام)، ولم يتمكنوا من تحقيق مآربهم إلا بالاستعانة بالمستعمر، وذلك بعد أن أصبحوا مطية له يحقق بواسطتهم أهدافهم، وإن كانوا في الغالب لا ينالون كل ما يريدون، وقد يكون سعيهم بوارًا عليهم.

ولذلك قال المستقرئ لتاريخهم وأصولهم شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا تجد أهل مدينة ولا قرية يغلب عليهم الرفض، إلا ولا بد لهم من الاستعانة بغيرهم: إما من أهل السنة، وإما من الكفار. وإلا فالرافضة وحدهم لا يقوم أمرهم قط، كما أن اليهود وحدهم لا يقوم أمرهم قط»[٢]. وقال أيضًا: «إذا صار اليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائمًا يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارىٰ، ويعاونونهم علىٰ قتال المسلمين ومعاداتهم»[٣].

ولهذا وغيره رأيت تخصيص هذا البحث لدراسة هذا «الغزو الباطني للأمة الإسلامية»، وذلك بغية الوقوف علىٰ حقيقته، ونشأته، وجذوره، وفرقه واتجاهاته، ومعتقداته، وكشف أساليبه ومكايده، وبيان آثاره، ثم النظر في كيفية التصدي له، ولم أتوسع في هذه الموضوعات؛ لأن أصل هذا البحث تم إعداده لتقديمه إلىٰ «المؤتمر العالمي للفكر الإسلامي.. الواقع والتحديات المعاصرة»، والمنعقد في ماليزيا، بكلية دار الرضوان الإسلامية، في المدة من ١٩-٢٠ سبتمبر ٢٠١٢م، وقد

---

(١) «الإسلام والعرب» (روم لاندو (ص٩٥).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٤١٩).
(٣) «المصدر السابق» (٣/ ٣٧٨).

تم نشره وإلقاؤه ضمن أعمال هذا المؤتمر، وكان أصله مختصرًا نظرًا لطبيعة وحدود البحوث المنشورة في المؤتمرات، ثم رأيت إفراده ونشره في طبعة خاصة - بعد زيادات في مباحثه ومزيد تحرير لبعض مسائله - لعل فيه ما ينفع ويفيد، ويكشف حقيقة الغزو الباطني، والمد الرافضي الذي تغلغل في كيان الأمة في غفلة من أمرها لتقيته وتلونه وتقنعه بشعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

لقد تبين من خلال الحقائق العلمية والوقائع التاريخية والشواهد الواقعية أن أخطر أعداء الأمة الإسلامية من الخارج هم اليهود، قال تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢]، وأن أشد الناس عداوة وخطرًا علىٰ الأمة من الداخل هو التيار الباطني، قال تعالىٰ: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وأكثر هذه الفرق جمعًا، وأعظمها خطرًا، وأشدها مكرًا، وأحكمها تخطيطًا، وأسوؤها أثرًا هي طائفة الاثني عشرية[1]. وقد اشتهر اليهود بمخططاتهم السرية للوصول إلىٰ أهدافهم، واكتشفت جملة من هذه المخططات ونشر بعضها في كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» والذي ترجمه محمد خليفة التونسي[2]، وقدم له الكاتب الكبير عباس العقاد.

---

(١) كيد الأعداء ثابت بنص القرآن ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، وقد نبتت نابتة في عصرنا تريد أن تلغي شيئًا اسمه المؤامرة بجرة قلم، ولا شك أن الإنكار المطلق للمؤامرة إما جهل وإما مؤامرة.

(٢) وقد التقيته في منزل الشيخ محمود شاكر، وجرىٰ حديث عن ضرورة الترجمة لمصادر الدين اليهودي، وترجمته للبروتوكولات وبعض أجزاء من التلمود، ولا ريب بأنه لا يمكن معرفة العدو إلا بالوقوف علىٰ مصادره ومعتقده؛ لأن السلوك ينبثق من التصورات، والمواقف تبنىٰ علىٰ المعتقدات، ولذا ترىٰ اليهود يستخدمون رموزهم الدينية لاستقطاب أتباعهم وبث روح الانتماء لديهم، بينما ترىٰ فئامًا من بني قومنا يتعمدون التنكر لكل ما يربطهم بدينهم وتراثهم وتاريخهم وعمقهم الإسلامي.

وإذا كان وليم كار يذهب إلىٰ أن اليهود وراء كل جريمة[1]، فإنني أذهب إلىٰ أن الروافض وراء كل فتنة وبلاء ومصيبة حلت وتحل بالأمة، وإذا كان وليم كار قد أمضىٰ ما يقارب أربعين سنة في البحث للوصول إلىٰ هذه النتيجة، فقد أمضيت ما يقارب أربعين سنة في البحث، لكنني أدركت ذلك في مراحل البحث الأولىٰ، وذلك لأن هذه الطائفة كما يقولون عن أنفسهم: «مبتلَون بالنَّزَق وقلة الكتمان»[2]، والخطر الأكبر ليس في مكائدهم فقط، وإنما في غفلة الأمة عن خطرهم واستهانتها بشأنهم، بل ربما انشغل بعضهم بجماعات دعوية عن هذه الأحزاب الرافضية المجوسية.

إن كاتب هذه السطور قد أمضىٰ ما يقارب أربعين سنة من عمره بحثًا ونظرًا وتدريسًا وتأليفًا ورحلاتٍ متعددةً للبحث عن موارد المذهب ومصادره، ودراسة أصوله ومبادئه، وقراءة وسماع ما يقوله مراجعه، ومقابلة بعض رجاله، وزيارة بعض جمعياته، والوقوف علىٰ أهم نشاطاته، والتعرف علىٰ مخططاته، ومحاورة بعض رجاله، والنظر في مناهجه الدراسية، والوقوف علىٰ مشاهده ومزاراته، وقد أدركت وأيقنت أنهم أخطر عدوٍّ يهدد الأمة في وجودها وأمنها ووحدتها وعقيدتها ودينها، ويتعاظم الخطر في جهل الأمة بمكايد هذا العدو ومخططاته وقدرته علىٰ التخفي

---

(١) يرىٰ بعضهم أن هذه مبالغة، وأن اليهود لا ينشؤون الأحداث - كما يزعمون - لأنفسهم وكما يتوهم الذين تبهرهم سيطرة اليهود في الوقت الحاضر، ولكن لا شك أنهم يجيدون انتهاز الفرص واستغلالها لتنفيذ مخططهم الشرير (انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص: ٧٩). لكن القول بأنهم يستغلون الأحداث فقط ولا ينشؤونها لا يتفق مع ما ثبت من مكرهم وكيدهم وما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا﴾ [المائدة: ٦٤]، وهذا لا يمنع أنهم قد يستغلون الأحداث لتحقيق أهدافهم، بل ربما يقرب من الحقيقة ما قاله محمد مهاتير في خطابه أمام قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في كوالالمبور ٢٠٠٣م «اليهود يحكمون العالم بالوكالة».

(٢) «الكافي» (١/ ٢٢٢).

والتلون والخداع كما قلت.

وفي الختام أتوجه بالشكر لفضيلة الشيخ الدكتور/ حمدي عبيد، وفضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان الربعي، والأستاذ الشيخ/ محمد الشيبان علىٰ ما تفضلوا به من قراءة الكتاب، وما أبدوه من ملاحظات قيمة أفدت منها.

أسأل الله عز وجل أن يكون عملي لوجهه خالصًا، ولهدي نبيه ﷺ موافقًا.

أ.د. نَاصِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ القِفَارِي